البحوث
والدراســـــات

الشيخ محمد عيّاد الطنطاوى

(١٨١٠ - ١٨٦١م)

د. على متولى أحمد

باحث بمركز تاريخ مصر المعاصر

دار الكتب المصرية

الشيخ محمد عيّاد الطنطاوى
(١٨١٠ - ١٨٦١م)

د. على متولى أحمد

فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، ذاع صيت رجل أزهرى مصرى فى روسيا، ألا وهو الشيخ محمد عيّاد الطنطاوى معلم اللغة العربية فى معهد اللغات الشرقية بجامعة سان بطرسبرج St Petersburg، والذى أصبح له صلات وثيقة بمستشرقى عصره، حتى تتلمذ على يديه نفر منهم، وصار اسمه مقرونا بتاريخ المشرقيات فى روسيا؛ لذا فحرى بنا أن نعرف من هو هذا الطنطاوى المغامر، الذى ترك الأزهر وترك التدريس فيه، وترك مصر ورحل إلى بلاد كان مبلغ العلم عنها قليلا، وعاش فيها حياته إلى أن أدركته منيته هناك فدفن فى بطرسبرج بمقابر المسلمين؟ وماذا عن نشأته؟ ومن هم العلماء الذين تتلمذ على أيديهم؟ ومن هم تلاميذه؟ وماذا عن مؤلفاته؟ ومتى تُوفى؟ وأين دفُن؟

أولاً- مولده ونشأته وشيوخه

هو محمد بن سعد بن سليمان بن عيّاد المرحومى الطنطاوى الشافعى، والمعروف بالشيخ محمد عيّاد الطنطاوى، ولد فى قرية نجريج - التابعة لمركز طنطا- عام ١٢٢٥هـ - ١٨١٠م[١]، ومحلة مرحوم التى وردت فى اسمه فهذه ليست بدار مولده، ولكنها دار أبيه[٢]، الذى كان يعمل ببيع الأقمشة والصابون والبن، وفى محلة مرحوم تلقّى علومه الأولية حيث حفظ القرآن الكريم، ومن ثم قصد طنطا لإكمال دراسته[٣]، فظل يدرس هناك على يد طائفة من الأساتذة مدة ثلاث سنوات، وكانت حينئذ حافلة بالعلماء والفقهاء والقراء، حيث قرأ على الأستاذ الشيخ محمد الكومى شرح ابن قاسم فى الفقه سنة ١٢٣٦هـ- ١٨٢١م، والأستاذ المصنف السيد محمد أبى النجار الذى قرأ عليه أيضا الشرح سالف الذكر عام ١٢٣٧ هـ - ١٨٢٢م، ونتيجة لشغوفه بالعلم ولّى وجهه شطر القاهرة عام ١٨٢٣م، وتتلمذ على أكابر علمائها[٤]، فهو أحد أفراد الطبقة الأولى الآخذة عن الشيخ إبراهيم الباجورى شيخ الجامع الأزهر "ت ١٢٧٦هـ - ١٨٣٥"[٥]،

وصاحب التصانيف فى العلوم العقلية، ورائد منهج التدريس بالنزعة الأدبية[٦]، حيث قرأ عليه أصول الكتب، ونظر فى علوم النحو والفقه والبلاغة والأصول والمنطق والكلام، وقرأ تفسير البيضاوى على الشيخ حسن العطار[٧] " ت سنة١٢٥٠هـ"[٨].

وعلى الرغم من طول رفقة الشيخ الطنطاوى للشيخ الباجورى إلا أن أثره فى تكوينه كدارس لعلوم الغرب غير قوى، فالشيخ الباجورى من المحسوبين على المدرسة التقليدية الكلاسيكية، وكان من دعاة عدم التقارب مع الأوروبيين، بل وفضَّل الرحيل من القاهرة إبّان وجود الحملة الفرنسية، ولكن يرجع الأثر الكبير فى دفع الشيخ الطنطاوى إلى دراسة الغرب ومعرفة علومهم فى البداية إلى الشيخ العطار، الذى رأى أنه من المستطاع أن يتقرب من الفرنسيين ليتعرف على ثقافتهم[٩].

شيخ آخر من أساتذة الطنطاوى الذين كان لهم تأثير قوى عليه وانفتاحه على الثقافة الغربية، وهو الشيخ إبراهيم الدسوقى (١٨١١-١٨٨٣) الذى كان عمله منحصرًا فى ميدان التعليم فى المدارس الفنية، التى كانت تديرها الدولة، أو فى تصحيح مسودات المطبوعات العلمية فى مطبعة بولاق الشهيرة، وكانت له صلة وثيقة بعلماء أوروبيين ممن تركوا أثرًا طيبًا فى العلوم مثل المستشرق إدوارد وليم لين[١٢]، صاحب القاموس العربى الإنجليزى الكبير[١٣].

ومن أساتذة الشيخ الطنطاوى أيضًا، الشيخ الشبينى، والشيخ برهان الدين أبو المعالى، والشيخ مصطفى القناوى الشافعى الأحمدى، شيخ المسجد الأحمدى بطنطا[١٠]، والشيخ إبراهيم السقا (١٧٩٧-١٨٨١) الذى حاز شهرة كبيرة فى الخطابة بالأزهر وتولاها ما يربو على العشرين عامًا، حتى صارت خطبه تحفظ، وتلقى فى مناسبات مشابهة لما قيلت فيه[١١].

أما عن زملاء الشيخ الطنطاوى فى الدراسة فهم: رفاعة الطهطاوى، ومحمد قطة العدوى[١٤]، ومحمد الأشمونى[١٥]، وعبدالسلام المحلى الترمانينى،

وعبدالرحمن الصفتى، وعبدالهادى نجا الإبيارى، وسرور الدمنهورى.. وغيرهم[١٦].

وفى عام ١٨٢٧م توفى والده، فترك الطنطاوى الدراسة فى الأزهر تحت ضغط الظروف القاسية، وعاد إلى طنطا، ومنحه أستاذه الشيخ مصطفى القناوى إجازة فى التدريس عام ١٨٢٨م[١٧]، لكنه ما لبث أن عاد للقاهرة مجددا عام ١٨٣٠م، ليعمل مدرسًا بالأزهر، وكان له طابع خاص فى التدريس، حيث حذا حذو شيخه حسن العطار، فأخذ يُدرِّس لطلابه مقامات الحريرى، وديوان الحماسة لأبى تمام، ويشرح لهم غريب الألفاظ ويُبصرهم بمواطن الجمال والقبح فيها[١٨]، ويُعتبر أول من قرأ المعلقات والمقامات فى حلقاته العلمية، وهو فى العشرين من عمره[١٩].

وبسبب عشقه لعلوم اللغة وآدابها اتُهم بترويج البدع، إذ انصرف إلى الشعر والأدب بدلا من الانصراف إلى علوم الفقه والحديث، حتى تمنى البعض موته حين أصيب بطاعون سنة ١٨٣٦م، المرض الذى عاناه مدة عشرة أيام بلا نوم، وغاب عنه الإحساس والإدراك حتى سلّمه الله، وعافاه بعد أسبوعين، وفى هذا يقول حين أشيع خبر موته شعرًا[٢٠]:

تمنى أناس أن أموت وإن مت فتلك طريق لست فيها بأوحد
وإن أظهروا موتى فليس بمنكر إذا أظهر الشيطان موت محمد[٢١]

وأثناء اشتغال الشيخ عيّاد بالأزهر قام بالتدريس فى المدرسة الإنجليزية بالقاهرة " مدرسة الإرسالية البروتستانتية" عام ١٨٣٥[٢٢]، وحينذاك بدأت تفد إلى مصر مجموعات من المستشرقين فى مختلف المجالات، وتوطدت العلاقات بينهم وبين الشيخ الطنطاوى بغرض تعليمهم اللغة العربية[٢٣]، ومن أمثال هؤلاء المستشرقين الدكتور "ر. فراهن" R. Frahn الألمانى الذى كان أبوه مدرسًا للشرقيات فى كلية قازان، والدكتور "بيرّون" A. Perron الفرنسى الذى كان يقوم بتدريس الطبيعة والكيمياء بمدرسة الطب المصرية، وكان يُجيد العربية كتابة وقراءة وحديثًا، والأستاذ "فليمانس فرنيل" F. Fresnel الفرنسى الذى ترجم لامية

العرب للشنفرى إلى الفرنسية بمساعدة أستاذه الشيخ الطنطاوى، والذى علم أستاذه اللغة الفرنسية[٢٤]، وكتب فرنيل يقول " إنه مدين للطنطاوى الشيخ المصرى الوحيد، الذى يدرس لغته بمحبة واهتمام، ويدرس كتب الآداب العربية القديمة"[٢٥]، كذا تعرف الشيخ الطنطاوى على " جوستاف ويل" "G. Weil الذى كان مدرسًا لتاريخ المشرقيات فى كلية هيدلبرج[٢٦]، وله من الكتب فى تاريخ الخلفاء فى ثلاث مجلدات، وتاريخ العباسيين فى مصر فى مجلدين[٢٧].

ثانيًا- سفر الشيخ الطنطاوى إلى روسيا:

فى عام ١٨٠٤ صدر مرسوم منظّم للجامعات الروسية بمقتضاه أُحدثت أقسام لتدريس اللغات الشرقية فيها، وكان لهذا الحدث أثر كبير على مستقبل الدراسات الاستشراقية عمومًا والاستعرابية منها خصوصًا[٢٨]؛ لأن تاريخ الاستعراب الروسى فى العصر الحديث - على حد تعبير كراتشكوفسكى[٢٩]- ارتبط بهذا المرسوم ارتباطًا وثيقًا؛ وبناء عليه أُدخل تدريس اللغات الشرقية فى برنامج المدارس العليا، وأُسست الأقسام الخاصة لهذه اللغات، وقد شغلت اللغة العربية المكانة الأولى[٣٠]، وأخذت هذه الأقسام تستضيف عددًا من الأساتذة المستشرقين وخصوصًا من ألمانيا وفرنسا، وحينذاك كانت جامعة العاصمة "سان بطرسبرج" تمثّل أهم المراكز الاستشراقية فى العالم، حيث تمّ تدريس اللغة العربية فيها منذ عام ١٨١٨م، ويرجع الفضل فى ذلك إلى مكتبة المتحف الآسيوى - والتى تُعرف حاليًا بملحقة معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية- بسان بطرسبرج، والتى تمثل إحدى كبريات المكتبات الاستشراقية فى العالم[٣١].

وبافتتاح قسم اللغة العربية فى جامعة سان بطرسبرج تولّى الفرنسى "ديماج" Demage -أحد تلاميذ المستشرق الفرنسى"سيلفيستر دو ساسى"Sylvester de Sassy - أول رئيس لقسم اللغة العربية فى الجامعة خلال الفترة (١٨١٩-١٨٢٢)، وأعقبه فى هذا المنصب الأديب البولونى "سينكوفسكى"Swnkovsky، الذى ظل يرأس القسم مدة خمسة وعشرين عامًا خلال الفترة من ١٨٢٢ إلى عام ١٨٤٧[٣٢]، ووقتذاك ازداد الاهتمام باللغات الشرقية فى الجامعات الروسية

وخصوصًا جامعة سان بطرسبرج التى كانت تُدرَّس فيها اللغات العربية، والصينية، والمغولية، والتركية، والفارسية، وذلك بفضل وزير المعارف فى ذلك الوقت (م. بوشكين)، ورأى هذا القسم إتمامًا للفائدة، ولتكون دراسة اللغات الشرقية متمشية مع دراسة تاريخ أقطارها، ضرورة الاستعانة بأساتذة من الشرق نفسه فهم خير من يقوم بتعليم اللغات الشرقية للطلاب الراغبين من الروسيين وغيرهم من الأوروبيين[٣٣].

وبناء عليه كلفت روسيا قنصلها فى القاهرة ليقوم بهذه المهمة، وأن يتفق مع من يعرف فيه القدرة على القيام بهذه المهمة[٣٤]، فوقع الاختيار على الشيخ عيّاد الطنطاوى حيث طلب قنصل روسيا الدوق "مديم" من والى مصر محمد علي باشا إعارة الشيخ عيّاد الطنطاوى لمعهد اللغات الشرقية لتدريس اللغة العربية، ولاقى هذا الطلب القبول من محمد علي باشا فاستدعى إلى ديوانه الطنطاوى وصرّح له بالسفر، وطلب منه ضرورة تعلّم اللغة الروسية ؛ لأنه مشغول بجلب الألسن الغربية إلى مصر ليعرف مدى التقدم العلمى والاجتماعى الذى وصلت إليه بلاد الروس[٣٥]، ومن الجدير بالذكر أن الوسيط بين نظارة الخارجية والشيخ الطنطاوى لإقناع الأخير بالسفر كان "بطرس بكتى[٣٦] Bokty ترجمان القنصلية الروسية بالقاهرة[٣٧]، وكان له الدور البارز فى جميع المكاتبات الرسمية الخاصة بسفر الطنطاوى إلى روسيا[٣٨].

وعلى أية حال، غادر الطنطاوى القاهرة فى ٢٤ محرم ١٢٥٦هـ، ٢٦ مارس ١٨٤٠م إلى الإسكندرية، حيث نزل فى ضيافة قنصل روسيا فيها "مديم"، وفى ٢٦ مارس ركب باخرة نمساوية إلى اسطنبول ومنها إلى أوديسا، وفى يوم ٢٩ يونيو ١٨٤٠ وصل إلى بطرسبرج[٣٩]، ليتبوأ له مقعدًا بين أساتذة اللغات الشرقية فى جامعة بطرسبرج، وقوبل الشيخ هناك بالحفاوة، وكان له مرتب سخى، واشتغل منذ ٢ يوليو ١٨٤٠ بالتدريس فى معهد اللغات الشرقية، وبالعمل فى ديوان الخارجية فى بطرسبرج[٤٠]، وقضى الطنطاوى ما يقرب من سبع سنوات فى تدريس اللغة العربية، ثم عُين بعد ذلك فى سنة ١٨٤٧ أستاذًا لكرسى اللغة

العربية فى جامعة بطرسبرج، وعين المستشرق الروسى "نفروتسكى" مساعدا له[٤١]، وظل أستاذًا لهذا الكرسى طيلة أربعة عشر عامًا (١٨٤٧-١٨٦١)[٤٢]، ومن ثمّ كان الشيخ الطنطاوى الرئيس الثالث لقسم اللغة العربية فى جامعة بطرسبرج، بعد الفرنسى "ديماج"، والبولونى "سينكوفسكى".

وفى جامعة بطرسبرج درَّس الشيخ عيّاد الطنطاوى قواعد اللغة، وشرح أمثال لقمان، وقرأ قطعًا من مؤلفات تاريخية، ومن مقامات الحريرى، كما كان يدّرس الترجمة من الروسية إلى العربية، والخطوط الشرقية، وقراءة المخطوطات، والمحادثة باللغة العربية، وزاد على ذلك عام ١٨٥٥م تدريس تاريخ العرب[٤٣].

لذا، ذاع صيت الشيخ المغامر الطنطاوى فى روسيا، منذ أن وصل إليها، وهذا ما تناولته الصحافة الروسية آنذاك، من الترحيب بقدوم الشيخ الطنطاوى معتبرة أن "شهرته منتشرة فى أوروبا بين الرحالة الذين كانوا يدينون بالعرفان لكتاباته التى كان لها دور كبير فى نجاحهم واكتشافاتهم"[٤٤]، كما حظى الطنطاوى بعناية متميزة فى روسيا حيث تمّ تعيينه مستشارًا فى الدولة، وقُلّد وسام ستانيسلان، ووسام حنا بسبب امتياز التلاميذ فى البحث، كما قُلد خاتمًا من الألماس[٤٥].

وكانت بعثة الشيخ الطنطاوى إلى روسيا فى أهدافها تأتى فى المرتبة الثانية بعد بعثة رفاعة الطهطاوى إلى فرنسا ولندن، والتى ضمنها كتابه:"تخليص الإبريز فى تلخيص باريز"، فإذا كان رفاعة الطهطاوى رائد عصر التنوير من خلال بعثته فى أوروبا الغربية فإن محمد عيّاد الطنطاوى هو رائد عصر التنوير من خلال وفادته إلى أوروبا الشرقية[٤٦].

وظلّ الطنطاوى فى روسيا إلى أن جاور ربه، ولم يؤثر ذلك فى شىء من دينه وعقيدته، كما يُؤخذ من قوله فى أول قطعة شعرية أرسل بها إلى أحد أصدقائه بمصر - ولعله الشيخ محمد قطة العدوى.

أنا بين قوم لا أدين بدينهم أبدًا ولا يتدينون بدينى[٤٧]

ثالثًا- تلاميذه:

تخرّج على يدّ الشيخ الطنطاوى فئة كثيرة من المستشرقين، وعلى رأسهم المستشرق الفنلندى الأصل (والن) G. A. Wallin. الذى أسهم بنصيب كبير فى الأدب العربى هو وغيره ممن تعلموا فى جامعة بطرسبرج على يد الشيخ الطنطاوى[٤٨]، وبسبب جهود الأخير فى حثّ والن على ضرورة البحث العميق فى دين الإسلام ودراسة مبادئه وجوهره وركائزه ومقاصد شريعته، وضرورة زيارة البلدان العربية للاطلاع عن كثب ومعاينة الحقائق، كل هذا كان سببًا فى اعتناق والن للإسلام وحجه إلى البيت الحرام، وخدمة دين الحق والتعريف به وبحضارته الزاهية، وأصبح اسمه "الحاج عبدالولى"[٤٩]، وكان من رواد الجزيرة العربية فى القرن التاسع عشر، وساح فى مصر وسوريا زمنًا طويلا[٥٠]، ودار بينه وبين أستاذه عدة رسائل جمعها والن وطبعها مترجمة إلى اللغة الأسوجية، كما أن هناك مجموعة أخرى مخطوطة فى مكتبة جامعة هلسنكى Helsinki، التى أصبحت فيما بعد تعرف بـ "هلسينجفور" Helsingfors عاصمة فنلندا[٥١].

ومن تلاميذ الشيخ الطنطاوى أنطونى موخلينسكى، الذى قرأ عليه جملة من الكتب العربية واللطائف الأدبية، ومنها ديوان عبدالرحمن الصفتى، وكذا المستشرق نافروتسكى Navrotsjy، وكروكاس[٥٢]، ونقولا موخين Nicola Muk-hin ، ورودلف فرين Rudolf Freen الروسيان وبسببهما سافر الطنطاوى إلى روسيا عام ١٨٤٠[٥٣].

أما موخين، فتخرج فى كلية التاريخ والآداب الشرقية فى جامعة بطرسبرج ، وعمل فى القسم التعليمى التابع لوزارة الخارجية الروسية، وعُين مترجمًا فى القنصلية العامة الروسية فى مصر عام ١٨٣٥، ويقول عنه الطنطاوى: "هذا الترجمان صاحبى فى مصر خلال عدة أعوام وقرأ علىّ شيئًا من المعلقات وأخبار شعرائها، وله دراية بكثير من اللغات كالفرنسية والتركية"، وقد كُلّف موخين باصطحاب الطنطاوى من اسطنبول إلى روسيا، و" فرين" هذا ورث الاستشراق عن أبيه، وأمد المتحف الآسيوى بروسيا بالعديد من المخطوطات والنقود

القديمة[٥٤].

ومن تلاميذ الطنطاوى فى الأزهر: يوسف الأسير السورى (١٨٨٩م)، وإبراهيم مرزوق (١٨٨٦م) وعبدالهادى نجا الأبيارى[٥٥].

رابعًا- مؤلفاته

يُعد الشيخ محمد عيّاد الطنطاوى من أعلام النهضة الأدبية فى القرن التاسع عشر للطريقة التى انتهجها فى التدريس بالأزهر؛ إذ اتجه إلى دروس الشعر والأدب واللغة، لذا عدّه بعضهم من النحويين؛ لأنه ترك بعض الكتب المخطوطة فى اللغة العربية مثل كتاب: "حاشية على متن الزنجانى فى الصرف"، والمشهور بمتن العُزى، كتبها بخط يده ، و"حاشية على شرح الشيخ خالد الأزهرى على متنه المسمى بالأزهرية فى علم النحو"، كتبها بخط يده عام ١٢٥٢هـ ، و" حاشية على كتاب الكافى فى علمى العروض والقوافى"[٥٦]، و"ختم على شرح القطر لابن هشام"[٥٧].

بالإضافة إلى "غنية المريد فى علم التوحيد" نظمًا، و"حاشية على شرح العلامة برهان الدين أبى المعالى إبراهيم السقا " أحد شيوخه" على منظومة السيد محمد بُليحة"، وعنوان الشرح " التحفة السنية فى العقائد السنُيّة"، ومنها : "حاشية على رسالة شيخه إبراهيم البيجورى فى العقائد"، ومنها: "حاشية على منظومة الشيخ السلمونى"، وفيها التزم السجع فى جميع جمله [٥٨].

ومن مؤلفاته أيضًا: تاريخ حياته بقلمه، ولم ينجز منه إلا قطعة صغيرة نشر أصلها العربى ومعه ترجمة ألمانية، و" أحسن النخب فى معرفة لسان العرب"، وهو كتاب فى العامية المصرية، طبع ليبسك عام ١٨٤٨، ويتضمن هذا الكتاب ألفاظ وجُملاً ورسائل قصصًا وأغانى مصرية عامية، ومعها ترجمتها الفرنسية، و "منتهى الآداب فى الجبر والميراث والحساب"، توجد نسخة بخط المؤلف فى مكتبة جامعة بتروغراد (رقم ٨٢٠) كتبت سنة ١٢٤٥هـ"، و "منظومة فى البيان نظم فيها متن السمرقندية"، وكتاب عن تاريخ روسيا باسم "تحفة الأذكيا بأخبار

بلاد الروسيا عام ١٨٥٠"[٥٩].

ويعتبر مخطوط "تحفة الأذكيا بأخبار بلاد الروسيا عام ١٨٥٠" من أهم مؤلفاته، وهو كتاب يجمع بين فن الرحلات والسيرة الذاتية، وإلى جانب تناول الكتاب لرحلة الطنطاوى من مصر إلى روسيا ووصف رحلاته فى روسيا وفى دول البلطيق وفنلندا ومن حولها خلال فترة إقامته فى روسيا، يتناول أيضًا وصفًا لجغرافية روسيا وتاريخها وملامح الحياة الاجتماعية والثقافية والعادات والتقاليد السائدة فى روسيا، أى دراسة مفصلة لتاريخ روسيا الحديث وطبوغرافية بطرسبرج، وفى الوقت نفسه لم يكن المخطوط سردًا تاريخيًا أو جغرافيًا بل كان وصفًا دقيقًا حيًا بيئيًا لرحلته من القاهرة إلى بطرسبرج وزياراته لأقاليم روسيا وانفعالاته مع الإقليم والشعب من خلال إقامته طيلة العشر سنوات التى قضاها هناك منذ هجرته عام ١٨٤٠ حتى تاريخ تأليف الكتاب عام ١٨٥٠[٦٠].

وهناك نوع آخر من مؤلفات الشيخ الطنطاوى متصل أساسًا بالدراسات اللغوية والأدبية والتاريخية، والتى تخضع لاهتمامات الاستشراق آنذاك كدراسة اللهجات العربية والحكايات والأمثال الشعبية، ونذكر من بين هذه المؤلفات على الخصوص:

- حال الأعياد والمواسم فى مصر - مخطوط- مكتبة بتروغراد.
- كتاب الحكايات المصرية العامية" - مخطوط- مكتبة بتروغراد "رقم ٧٤٥"، ومعها ترجمة الباب الأول من كتاب "كلستان" لسعدى الشاعر الفارسى.
- التحيات المعتادة فى كلام العامة.
- مجموعة أمثال عربية مصحوبة بترجمتها الروسية.
- قواعد اللغة العربية العامية (المصرية)[٦١].

وللطنطاوى كتاب عنوانه "النحو العربى" أو "قواعد اللغة العربية الفصحى"، وهو أول كتاب كتبه كاتب عربى باللغة العربية للتدريس فى جامعات روسيا

ومعاهدها العالية، وهو موضع اهتمام المستشرقين، ونال شهرة كبيرة فى كل دوائر الاستشراق الأوروبى[٦٢]، وكانت مقالاته تنشر على صفحات بعض المجلات الاستشراقية مثل:

- Journal Asiatique
- Bulletin historique et philologique
- Melanges Asiatique[٦٣]

خامسًا- وفاته:

فى سبتمبر عام ١٨٥٥ أُصيب الشيخ الطنطاوى بشلل فى رجليه، وظل فى صراع طويل مع هذا المرض، وظل فى منزله رهين المرض، وكان يشرف على العناية بالشيخ زوجته المصرية "أم حسن" التى أنجبت له طفلاً فى ١٩ مايو ١٨٥٠، أسماه "أحمد"[٦٤].

وبينما المرض يشتدّ على الشيخ الطنطاوى تُوفيت زوجته المصرية عام ١٨٦٠، وابنه فى سن العاشرة، ووقتئذ طلب الشيخ الطنطاوى التحاق ابنه أحمد بإحدى المدارس الوسطى، على حساب الدولة ، وبالفعل التحق أحمد بإحدى المدارس فى ١٩ نوفمبر ١٨٦٠ ، ولكن الحالة الصحية للشيخ ازدادت سوءًا فأحيل للتقاعد فى ١٩ يناير ١٨٦١، ثم وافاه الأجل فى يوم الثلاثاء ٢٤ ربيع الثانى ١٢٧٨هـ - ٢٩ أكتوبر ١٨٦١، ووري جثمانه الثرى فى مقبرة المسلمين بقرية فولكوفا فى سانت بطرسبرج بجوار مقبرة زوجته المصرية، وتُسمى المقابر التى دُفن فى وسطها مقبرة التتر، ومن ثمّ عُين نفروتسكى خلفًا له فى كرسى اللغة العربية بالجامعة، وصرفت الدولة معاش الشيخ إلى ابنه أحمد، واُختير نفروتسكى وصيًا له، وفى عام ١٨٧١ باع أحمد مجموعة والده الخطية إلى مكتبة الجامعة[٦٥].

هكذا كان محمد عياد الطنطاوى، وكثير من جيله نموذجًا عمليًا للعلاقة مع الآخر دون تنظير أو صخب نظرى لا طائل من ورائه ، وما زال تراثهم وهو على وجه خاص فى حاجة إلى إعادة لملمته من مكتبات العالم.

الهوامش

(١) محمد أبو بكر، من بواكير الاستغراب: محمد العيّاد الطنطاوى ١٨١٠-١٨٦١، مجلة أدب ونقد، ع ٣٥١، مايو ٢٠١٦، ص ١٢.

(٢) محمد عبدالغنى حسن، محمد عيّاد الطنطاوى ١٨١٠-١٨٦١، أعلام النهضة الحديثة، المجلد ٨، يونيو ١٩٤٦، ص٢٧٥.

(٣) محمد أبو بكر، مرجع سابق، ص ١٢.

(٤) حسين على محفوظ، الشيخ محمد عياد الطنطاوى، معلم اللغة العربية، العربى الأول فى أوربا، مجلة كلية الآداب، بغداد، نيسان ١٩٦٤، العدد ٧، ص ص ٨٠،٨١.

(٥) أحمد تيمور، الشيخ محمد عياد الطنطاوى، مجلة المجمع العلمى العربى، دمشق، مجلد ٤، صفر ١٣٤٢، ج ٩، ص ٣٨٨.

(٦) محمد عيّاد الطنطاوى، رحلة الشيخ الطنطاوى إلى البلاد الروسية ١٨٤٠-١٨٥٠، المسماه تحفة الأذكيا بأخبار بلاد الروسيا، قدّم لها وحرّرها د. محمد عيسى صالحية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢، ص ١١.

(٧) هو حسن بن محمد بن محمود العطّار، والعطّار أبوه وهو محمد بن محمود كتن، وكان أبوه عطارًا، ومن هنا جاءه هذا اللقب، ولد بالقاهرة سنة ١١٨٠هـ (١٧٦٦م)، وهو من أصول مغربية، ومن شيوخه الشيخ محمد الصبّان، والشيخ العروسى، والشيخ عبدالرحمن المغربى...إلخ، وقد اتصل بالفرنسيين اتصالا علميًا، فكان للعطار ولع بقراءة الكتب المترجمة عن اللغات الأوربية، خاصة علمى التاريخ والجغرافيا، وكان من دعاة إدخال العلوم العصرية مجال الثقافة والتعليم، ونادى بضرورة تطوير التعليم الأزهرى من حيث المناهج ومواد الدراسة، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأصلية وبتدريس المواد الممنوعة، كما اتصل بالوالى محمد على باشا، وتولى تحرير الوقائع العربية بين عامى ١٨٢٨- ١٨٣٠، ثم تولى مشيخة الأزهر عام ١٢٤٦هـ، وظل فيها حتى توفى سنة ١٢٥٠هـ (١٨٣٥م). انظر: هنادى يوسف العجب الأمين، القضايا النحوية فى حاشية العطار على شرح الأزهرية للشيخ خالد الأزهرى: عرض ودراسة، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان، ٢٠٠٥، ص ص ٧،٨؛ سامى بدراوى، الشيخ حسن العطار، رائد البعث الأدبى فى مصر الحديثة: ١٧٦٦-١٨٣٥/ ١١٨٠-١٢٥٠هـ، المجلة، ع ٩٩، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، مارس ١٩٦٥، ص ص ٣١-٣٣.

(٨) حسين على محفوظ، مرجع سابق، ص ٨١.

(٩) محمد أبو بكر، مرجع سابق، ص ١٣.
(١٠) حسين على محفوظ، مرجع سابق، ص ٨١.
(١١) زكريا الرفاعى، أزهريون ليبراليون "الشيخ محمد عيّاد الطنطاوى"، مجلة العصور الجديدة، ع ٧، مارس ٢٠٠٠، ص ١٤٢.
(١٢) محمد أبو بكر، مرجع سابق، ص ١٣، انظر أيضًا: زكريا الرفاعى، مرجع سابق، ص ١٤٢.
(١٣) جريجورى شرباتوف، الشيخ محمد عيّاد الطنطاوى أول أستاذ عربى فى روسيا ورائد من رواد الدراسات فى اللغة العامية المصرية، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج٥٥، نوفمبر ١٩٨٤، ص ٧٠.
(١٤) هو محمد بن عبدالرحمن قطة العدوى ، وُلد بالقاهرة ودرس العلوم الدينية والعربية فى الجامع الأزهر ، وحفظ القرآن وجوّده على أبيه، وقد وقع عليه الاختيار ليقوم بتصحيح الكتب العربية بمطبعة بولاق الأميرية التى أقامها محمد على سنة ١٨٢١م، ومن كبار تلامذته الشيخ حسن بن محمد داود العدوى المالكى، والشيخ حسن بن أحمد رفاعى الهوارى العدوى، توفى الشيخ محمد قطة فى عام ١٢٨١هـ. انظر: محمد حسن محمد يوسف، الشيخ محمد قطة العدوى، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط (جامعة الأزهر)، ع ٦، ١٩٨٦، ص ص١٣٥، ١٤٢-١٤٤.
(١٥) زكريا الرفاعى، مرجع سابق، ص ١٤٢.
(١٦) محمد أبو بكر، مرجع سابق، ص ١٣.
(١٧) محمد عبدالمنعم خفاجى، الأزهرى الذى وجه الاستشراق الحديث وعلماءه وجهة جديدة: الشيخ محمد عياد طنطاوى، مجلة الأزهر، السنة ٣٦، شوال وذوالقعدة، ١٣٨٤، ج ٨ و٩، ص ٩٥٥.
(١٨) زكريا الرفاعى، مرجع سابق، ص ص ١٤٢،١٤٣؛ انظر أيضًا: عبدالموجود عبدالحافظ، أزهرى فى روسيا، مجلة الأزهر، المجلد الثانى والثلاثون، صفر ١٣٨٠، ج ٣، ص ١٩٣.
(١٩) محمد عبدالمنعم خفاجى، مرجع سابق، ص ٩٥٥.
(٢٠) أبو الحسن الجمال، من محلة مرحوم إلى ربوع بطرسبورغ الشيخ محمد عيّاد الطنطاوى، مجلة الوعى الإسلامى، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية،الكويت، أبريل، ع ٦١٠، ص ص ٦٤،٦٥.
(٢١) محمد عيّاد الطنطاوى، مصدر سابق، ص ٩.
(٢٢) محمد عبدالمنعم خفاجى، مرجع سابق، ص ٩٥٥.
(٢٣) أبو الحسن الجمال، مرجع سابق، ص ٦٥.
(٢٤) عبدالموجود عبدالحافظ، مرجع سابق، ص ١٩٣؛ انظر أيضًا: محمد عبدالغنى حسن، مرجع سابق، ص ٢٧٦.

(٢٥) محمد أبو بكر، مرجع سابق، ص ١٣.
(٢٦) عبدالموجود عبدالحافظ، مرجع سابق، ص ١٩٣.
(٢٧) محمد عبدالغنى حسن، مرجع سابق، ص ٢٧٦.
(٢٨) عبدالرحيم العطاوى، الشيخ محمد عيّاد الطنطاوى والمدرسة الاستشراقية الروسية، أعمال الندوة التكريمية للعلامة محمد بن تاويت الطنجى، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة، مايو ١٩٩٧، ص ص ٢١٦،٢١٧؛ انظر أيضًا: محمد عبدالغنى حسن، مرجع سابق، ص ٢٧٤.
(٢٩) ولد يوليانوفتش اغناطيوس كراتشكوفسكى فى ١٦ مارس ١٨٨٣، بمدينة فيلنيوس البلطيقية، وقضى جزءًا من طفولته فى مدينة طشقند بأوزبكستان إثر تعيين والده ناظرًا عامًا لمدارس آسيا الوسطى، ثم تعيينه مديرا للمكتبة العمومية بفيلنيوس عام ١٨٨٨، ورئيسًا لمصلحة الآثار التاريخية، التحق بكلية اللغات الشرقية بجامعة بطرسبرج عام ١٩٠١، وانكب على دراسة اللغات الشرقية كالعربية، والفارسية، والتركية.... إلخ، ودرس العلوم العربية على يدّ الكسندر فيسلوفسكى Veslovski، ومن ثمّ عدّ شيخ المدرسة الاستعرابية الروسية خلال النصف الأول من القرن العشرين، وتوفى فى يناير ١٩٥١. انظر: ابن ميسة رفيقة، الأبحاث الاستشراقية لكراتشكوفسكى فى مجال تحقيق التراث العربى، من أعمال الملتقى الثانى حول مناهج تحقيق النصوص بين الشرق والغرب، جامعة الجلفة، المجلد الخامس، الجزائر، ٢٠١٣ ، ص ص٦٤، ٦٧.
(٣٠) فارس عزيز المدرس، جهود المستشرق الروسى أغناطيوس كراتشكوفسكى فى تاريخ الأدب العربى ١٨٨٣-١٩٥١، ع ٦٤، مجلة آداب الرافدين، ٢٠١٢، ص ص ٦٢-٦٣.
(٣١) عبدالرحيم العطاوى، مرجع سابق، ص ص ٢١٦،٢١٧؛ انظر أيضًا: محمد عبدالغنى حسن، مرجع سابق، ص ٢٧٤.
(٣٢) عبدالرحيم العطاوى، مرجع سابق، ص ٢١٦؛ انظر أيضًا: بين المخطوطات العربية من القاهرة حتى مقبرة فولكوف فى بطرسبرج، ترجمة: محمد منير مرسى، المجلة،ع٨٧، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، مارس ١٩٦٤، ص ٩٩، إبراهيم إبراهيموف، تاريخ اللغة العربية فى روسيا وجامعة اللغات الحكومية ببياتيجورسك خاصة، مجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط، ع ٣٦، أكتوبر ٢٠١٠، ص ٥٨١.
(٣٣) عبدالموجود عبدالحافظ، مرجع سابق، ص ١٩٣.
(٣٤) محمد عبدالمنعم خفاجى، مرجع سابق، ص ٩٥٦.
(٣٥) تقديم د. محمد عيسى صالحية فى كتاب "رحلة الشيخ الطنطاوى إلى البلاد الروسية ١٨٤٠-١٨٥٠"، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢، ص ١٣.
(٣٦) بطرس بكتى كان مندوبًا قنصليًا Agent Consul لدولة الروسيا فى مصر، وكان معروفًا بقنصل المسكوف فى مصر، وهو من أسرة سورية قديمة، اشتهر أفرادها بحذق

اللغات الأجنبية، وكان بينه وبين الشاعر شهاب الدين شاعر عباس الأول صلة ودّ، بدأها بطرس نفسه بزيارة للشاعر على غير معرفة، فمدحه الشاعر بأبيات فى ديوانه. انظر: محمد عبدالغنى حسن، مرجع سابق، هامش ١، ص ٢٧٧.

(٣٧) زكريا الرفاعى، مرجع سابق، ص ١٤٤.

(٣٨) محمد أبو بكر، مرجع سابق، ص ١٥.

(٣٩) محمد عبدالمنعم خفاجى، مرجع سابق، ص ٩٥٦. انظر أيضًا: رجاء النقاش، الطهطاوى والطنطاوى وأحزان الوطن، مجلة الدوحة، ع ١٠، أكتوبر ١٩٧٦، ص ٣٣.

(٤٠) محمد عبدالمنعم خفاجى، مرجع سابق، ص ٩٥٦، انظر أيضًا:

Vl adimir Bobrovinkov, AL-Azhar and shari'a Courts in twentei eth centary Caucasus, Middle Easterns tudies, Vol. 37, No. 4, oct, 2001, p.4.

(٤١) عبدالموجود عبدالحافظ، مرجع سابق، ص ١٩٤.

(٤٢) محمد عبدالمنعم خفاجى، مرجع سابق ،ص ٩٥٧، انظر أيضًا: راجية إسماعيل أبو زيد، الزعامة الفكرية للأزهر إبان الحكم العثمانى، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، ع٤٢، يناير ٢٠٠٨، ص ٤٥١.

(٤٣) أبو الحسن الجمال، مرجع سابق، ص ٦٦.

(٤٤) عبدالرحيم مرون الوهابى، دور الأساتذة العرب فى تطور الاستعراب الروسى، الشيخ محمد عيّاد الطنطاوى أنموذجًا، مجلة الدفاع (القوات المسلحة السعودية)، مجلد ٣٦، ع ١٠٩، ديسمبر ١٩٩٧، ص ٧٥.

(٤٥) محمد أبو بكر، مصدر سابق، ص ١٥.

(٤٦) تقديم د. محمد عيسى صالحية لكتاب "رحلة الشيخ الطنطاوى إلى البلاد الروسية ١٨٤٠-١٨٥٠"، مصدر سابق، ص ١٤.

(٤٧) اغناطيوس كراتشقوفسكى، الشيخ محمد عيّاد الطنطاوى، مجلة الزهراء، ع ٧، يوليو ١٩٢٤، رجب ١٣٤٣، ص ٤٢٢.

(٤٨) عبدالموجود عبدالحافظ، مرجع سابق، ص ١٩٤.

(٤٩) عبدالرحيم مرون الوهابى، مرجع سابق، ص ٧٦.

(٥٠) محمد عبدالغنى حسن، مرجع سابق، ص٢٧٩.

(٥١) عبدالموجود عبدالحافظ، مرجع سابق، ص ١٩٤.

(٥٢) حسين على محفوظ، الشيخ محمد عياد الطنطاوى، معلم اللغة العربية، العربى الأول فى أوربا، مجلة كلية الآداب، بغداد، نيسان ١٩٤٤، العدد ٧، ص ٨٣.

(٥٣) محمد عبدالمنعم خفاجى، مرجع سابق، ص ٩٥٦.

(٥٤) محمد أبو بكر، مرجع سابق، ص ١٤.

(٥٥) محمد عبدالمنعم خفاجى، مرجع سابق،ص ٩٥٥.
(٥٦) عبدالموجود عبدالحافظ، مرجع سابق، ص ص ١٩٣،١٩٤و انظر أيضًا: أحمد تيمور، مرجع سابق، ص ٣٨٨.
(٥٧) جريجورى شرباتوف، مرجع سابق، ص ٧٢.
(٥٨) أحمد تيمور، مرجع سابق، ص ٣٨٨و انظر أيضًا: اغناطيوس كراتشقوفسكى، مرجع سابق، ص ٤٢٦.
(٥٩) زكريا الرفاعى، مرجع سابق، ص ص ١٤٥،١٤٦، : اغناطيوس كراتشقوفسكى، مرجع سابق، ص ٤٢٥.
(٦٠) محمد عيّاد الطنطاوى، مصدر سابق.
(٦١) عبدالرحيم العطاوى، مرجع سابق، ص ٢٢٢.
(٦٢) محمد عبدالمنعم خفاجى، مرجع سابق، ص ٩٥٨.
(٦٣) عبدالرحيم العطاوى، مرجع سابق، ص ٢٢٣.
(٦٤) محمد عبدالمنعم خفاجى، مرجع سابق،ص ٩٥٧.
(٦٥) محمد عبدالمنعم خفاجى، مرجع سابق، ص ٩٥٧، انظر أيضًا: حسين على محفوظ، مرجع سابق، ص ٨٣.